

10

القصص

الجزء الثالث

زواجه من هاجر

القصص

بقلم : ١. عبد الحميد عبد المقصود

رسوم : ١. عبد الشافي سيد

إشراف : ١. حمدي مصطفى



نَجَّى اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ وَخَلِيلَهُ (إِبْرَاهِيمَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّيرانِ
الَّتِي أَلْقَاهُ الْكُفَّارُ فِيهَا لِإِحْرَاقِهِ بَعْدَ أَنْ حَطَّمُوا أَصْنَامَهُمْ ..
فَكَانَتْ النَّارُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى (إِبْرَاهِيمَ) بِأَمْرِ رَبِّهَا ..
وَبِرْغَمِ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ الَّتِي شَهِدَهَا الْكُفَّارُ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ
يُؤْمِنُوا ، وَظَلَّلُوا عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامِهِمْ .. فَلَمْ يُؤْمِنْ
بِـ (إِبْرَاهِيمَ) سِوَى شَخْصَيْنِ فَقَطْ ..

الشَّخْصُ الْأَوَّلُ الَّذِي آمَنَ بِـ (إِبْرَاهِيمَ) هُوَ ابْنَةُ عَمِّهِ
السَّيِّدَةُ (سَارَةُ) وَقَدْ تَزَوَّجَهَا (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ

والشخصُ الثاني هو ابنُ أخيه (لوطُ) وقد صارَ

فيما بعدُ نبياً ..

فلما أُيقِنَ (إبراهيمُ) عليه السلام أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ بِهِ أَحَدٌ آخَرُ
مِنْ قَوْمِهِ ، قَرَّرَ أَنْ يَخْرُجَ مُهَاجِراً بِدَعْوَتِهِ إِلَى قَوْمِ
آخَرِينَ ..

ترك (إبراهيمُ) عليه السلام بلده مُهَاجِراً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،
وَكُلُّ هَدَفِهِ هُوَ نَشْرُ دِينِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ .. فَخَرَجَتْ
مَعَهُ زَوْجَتُهُ (سَارَةُ) وَابْنُ أَخِيهِ (لُوطُ) .. وَفِي أَثْنَاءِ رَحْلَتِهِ
قَابَلَ (إِبْرَاهِيمُ) عليه السلام مَلِكاً جَبَّاراً ، يَمْتَلِئُ بِالْغُرُورِ
وَالكِبْرِيَاءِ ، وَيَدَّعِي الْأُلُوْهِيَّةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى ..
وَيُقَالُ إِنَّ هَذَا الْمَلِكُ هُوَ نَفْسُهُ (نُمْرُودُ) مَلِكُ (بَابِلَ) ..
وَعِنْدَمَا سَمِعَ (نُمْرُودُ) بِخَبَرِ (إِبْرَاهِيمَ) ، اسْتَدْعَاهُ ،
وَقَالَ لَهُ فِي سُخْرِيَةٍ وَاسْتِخْفَافٍ :

— سَمِعْتُ أَنَّكَ تَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ إِلَهٍ جَدِيدٍ

غَيْرِي ..

فَقَالَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- بَلْ هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ ، فَرْدٌ صَمَدٌ ، لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ ..

فَقَالَ (نَمْرُودُ) :

- وَمَنْ هُوَ إِلَهُكَ هَذَا الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ يَا (إِبْرَاهِيمُ) ؟!

فَقَالَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- إِلَهِي وَرَبِّي ، وَرَبُّ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ هُوَ اللَّهُ ..

فَقَالَ (نَمْرُودُ) :

- أَنَا أَيْضًا إِلَهُ ، وَالنَّاسُ يَعْبُدُونَنِي .. مَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ

إِلَهُكَ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ ، وَلَا أَسْتَطِيعُهُ أَنَا يَا (إِبْرَاهِيمُ) ؟!

فَقَالَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- رَبِّي هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ..

فَقَالَ (نَمْرُودُ) :

- أَنَا أَيْضًا أُحْيِي وَأُمِيتُ ..

فَقَالَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

– كَيْفَ تُحْيِي ، وَكَيْفَ تُمِيتُ ؟!

فَقَالَ (نُمرُودُ) :

– الأَمْرُ فِي غَايَةِ البَسَاطَةِ .. أَسْتَطِيعُ أَنْ أُخْضِرَ
رَجُلًا وَأَقْتُلَهُ ، فَأَنَا بِذَلِكَ أُمِيتُ .. وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْفُوَ
عَنْ رَجُلٍ مَحْكُومٍ عَلَيْهِ بِالْإِعْدَامِ ، فَأُنْجِيهِ مِنَ الْمَوْتِ
وَأَهْبُ لَهُ الْحَيَاةَ ، فَأَنَا بِذَلِكَ أُحْيِي .. إِذَنْ فَأَنَا
أُحْيِي وَأُمِيتُ ، كَمَا يَفْعَلُ إِلَهُكَ يَا (إِبْرَاهِيمُ) ..



فَقَالَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ ..
يَجْعَلُهَا كُلَّ صَبَاحٍ تُشْرِقُ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّرْقِ ، فَهَلْ
تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهَا تُشْرِقُ مِنْ نَاحِيَةِ الْغَرْبِ ؟!
وَهُنَا بُهِتَ (نُمْرُودُ) .. خَرَسَ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْطِقَ
بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ لِيُجِيبَ بِهَا عَنْ سُؤَالِ (إِبْرَاهِيمَ) ..

أَحْسَ (نُمْرُودُ) بِالْعَجْزِ أَمَامَ مَنْطِقِ (إِبْرَاهِيمَ) السَّلِيمِ ..
إِذْ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ أَنْ يُغَيِّرَ نِظَامَ الْكَوْنِ الَّذِي
خَلَقَهُ إِلَهُ حَكِيمٌ قَادِرٌ ؟!

هَاجَرَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَدِينَةٍ تُدْعَى (أُورُ)
وَيَبْدُو أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ اسْتِجَابَةً مِنْ أَهْلِهَا لِدَعْوَتِهِ ، فَتَرَكَهَا ،
وَهَاجَرَ إِلَى مَدِينَةٍ تُدْعَى (حَارَانَ) ..

وَمِنْ (حَارَانَ) هَاجَرَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى فِلِسْطِينَ وَمَعَهُ
زَوْجَتُهُ (سَارَّةُ) وَابْنُ أَخِيهِ (لُوطُ) .. وَمِنْ فِلِسْطِينَ
سَافَرَ إِلَى مِصْرَ ، وَكُلُّ هَدَفِهِ هُوَ نَشْرُ دِينِ

اللَّهُ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ ..

وَهُنَاكَ أَهْدَى حَاكِمُ مِصْرَ إِلَى السَّيِّدَةِ (سَارَةَ) ، جَارِيَّةٌ
مِصْرِيَّةٌ لَتَكُونَ فِي خِدْمَتِهَا .. وَالْجَارِيَّةُ الْمِصْرِيَّةُ هِيَ
السَّيِّدَةُ (هَاجِرُ) .. ثُمَّ عَادَ (إِبْرَاهِيمُ) إِلَى فِلِسْطِينَ ..

وَحَتَّى ذَلِكَ الْوَقْتُ لَمْ يَكُنْ نَبِيُّ اللَّهِ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ
قَدْ أَنْجَبَ مِنْ زَوْجَتِهِ (سَارَةَ) .. فَقَدْ كَانَتِ السَّيِّدَةُ (سَارَةُ)
عَقِيمًا لَا تَلِدُ .. وَكَانَ نَبِيُّ اللَّهِ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ
صَارَ شَيْخًا عَجُوزًا ، وَابْيَضَ شَعْرُهُ ، بَعْدَ أَنْ أَنْفَقَ عُمُرَهُ
فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ..

وَفَكَّرَتِ السَّيِّدَةُ (سَارَةُ) أَنْ تُزَوِّجَ (إِبْرَاهِيمَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ
السَّيِّدَةِ (هَاجِرِ) ، حَتَّى تُنْجِبَ لَهُ وَلَدًا ..

فَلَمَّا تُزَوِّجَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّيِّدَةِ (هَاجِرِ) ، أَنْجَبَتْ
لَهُ أَوَّلَ أَبْنَائِهِ ، فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ (إِسْمَاعِيلَ) .. وَلَمْ
تَمْضِ شُهُورٌ قَلِيلٌ ، حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى نَبِيِّهِ
(إِبْرَاهِيمَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْهَجْرَةِ مَرَّةً أُخْرَى ..

كانت الهجرة هذه المرة إلى الصحراء ..

صحراء الجزيرة العربية ..

وكان المأمور بالهجرة هو السيدة (هاجر) وولدها

الرضيع (إسماعيل) ..

اصطحب نبي الله (إبراهيم) عليه السلام زوجته السيدة

(هاجر) وابنه (إسماعيل) ، وسار بهما قاصداً المكان ،

الذي حدده الله تعالى له ، حتى وصل إلى مكة

المكرمة .. وكانت مكة في ذلك الوقت لم تزل

صحراء خالية من الزرع والماء والناس .. وفي

الموضع الذي بنى فيه البيت الحرام ، ترك

(إبراهيم) عليه السلام زوجته (هاجر) وابنه الرضيع

(إسماعيل) ، ليعيشا هناك ..

وترك لهما (إبراهيم) ما معه من ماء وطعام ، وهم

بالانصراف .. فسألت السيدة (هاجر) عن سبب

اختيار (إبراهيم) هذا المكان الخالي من الزرع والماء
والبشر لإقامتهما .. فأفهمها (إبراهيم) عليه السلام أَنَّ هذا
بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ ..



فَقَالَتْ (هَاجِرٌ) رَاضِيَةً بِاخْتِيَارِ اللَّهِ لَهُمَا :

- إِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ أَمَرَكَ بِذَلِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يُضَيِّعَنَا
أَبَدًا ..

وَمَضَى نَبِيُّ اللَّهِ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ عَائِدًا مِنْ حَيْثُ أَتَى ،
فَلَمَّا ابْتَعَدَ عَنْهُمَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ بِالدُّعَاءِ ، قَائِلًا :

- ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، فَاجْعَلْ
أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ، وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ ..

وَعَادَ (إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى فِلِسْطِينَ ، لِيُوَاصِلَ دَعْوَتَهُ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ..

أَمَّا السَّيِّدَةُ (هَاجِرٌ) ، فَقَدْ بَقِيَتْ مَعَ ابْنِهَا الرِّضِيعِ ،
فِي الصَّحْرَاءِ ، فَأَخَذَتْ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ مِمَّا تَرَكَهُ لَهَا زَوْجُهَا ،
وَتُرْضِعُ صَغِيرَهَا ، حَتَّى نَفَدَ مَا مَعَهَا مِنْ مَاءٍ ، وَجَفَّ
لَبَنُهَا مِنَ الْعَطَشِ ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ إِرْضَاعَ صَغِيرِهَا

وراح الصَّغِيرُ يَبْكِي مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ ..

راحتْ (هاجِرٌ) تَبْحَثُ حَوْلَهَا عَنْ مَاءٍ ، فلمْ تَجِدْ لَهُ
أَثَرًا .. الشَّمْسُ حَارِقَةٌ ، والرَّمَالُ سَاخِنَةٌ ، ولا قَطْرَةَ
ماءٍ واحدةٍ تَرَوِي ظَمَأَ الْأُمِّ الْمُؤْمِنَةِ وابْنِهَا الرَضِيعِ ..
فماذا تَفْعَلُ (هاجِرٌ) ، وهى تَرى صَغِيرَهَا يُشْرِفُ عَلَى
الْمَوْتِ عَطْشًا ؟!

وَقَفَتْ (هاجِرٌ) تَنْظُرُ ، فرأتْ جَبَلًا يُسَمَّى جَبَلَ
(الصَّفَا) قَرِيبًا مِنْهَا ، فَهَرَوَلَتْ إِلَيْهِ مُسْرِعَةً ، وصَعَدَتْ
فَوْقَهُ ..



وَأَخَذَتْ تُدِيرُ عَيْنَيْهَا فِي الْمَكَانِ بَاحِثَةً عَنْ

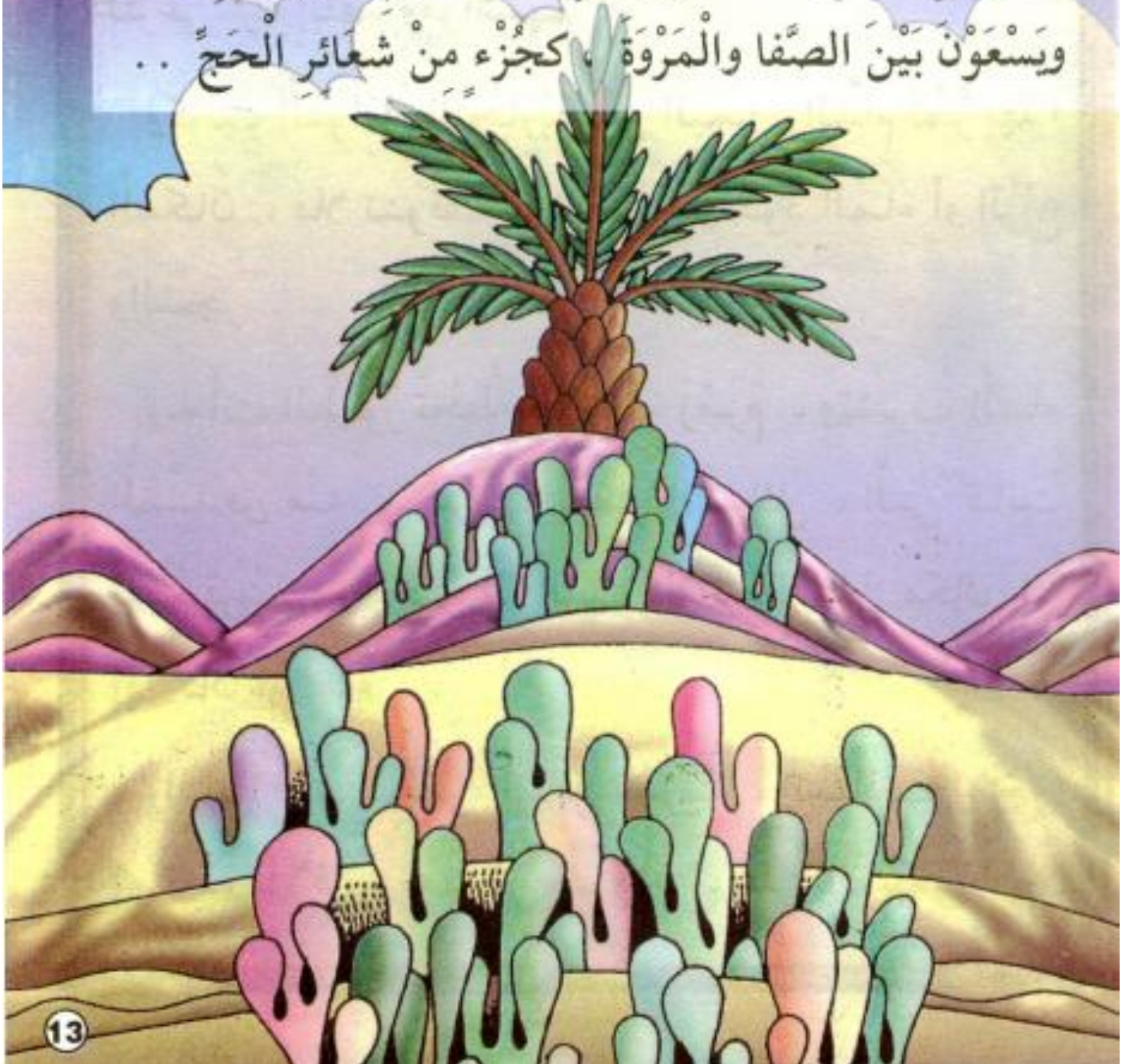
الْمَاءِ ، فَلَمْ تَجِدْ لَهُ أَثَرًا .. نَزَلَتْ مِنْ فَوْقِ الْجَبَلِ
وَرَاحَتْ تَجْرِي مُهْرَوَلَةً فِي الْمَكَانِ ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى
جَبَلٍ آخَرَ يُسَمَّى جَبَلَ (الْمَرْوَةِ) .. فَصَعَدَتْ الْجَبَلَ
وَرَاحَتْ تَنْظُرُ مِنْ فَوْقِهِ ، بَاحِثَةً عَنِ الْمَاءِ ، فَلَمْ تَجِدْ لَهُ
أَثَرًا .. فَنَزَلَتْ وَهَرَوَلَتْ إِلَى جَبَلٍ (الصِّفَا) ثُمَّ عَادَتْ
مِنْهُ إِلَى (الْمَرْوَةِ) .. وَهَكَذَا حَتَّى قَطَعَتْ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ ..

وَتَعِبَتْ مِنَ الْجَرِيِّ ، فَجَلَسَتْ تَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى ،
وَهِيَ تُفَكِّرُ فِي الْمَصِيرِ الَّذِي يَنْتَظِرُهَا وَطِفْلَهَا ،
وَيَتَهَدَّدُهُمَا بِالْمَوْتِ .. وَكَانَ الصَّغِيرُ (إِسْمَاعِيلُ)
يَبْكِي مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ وَيَضْرِبُ الْأَرْضَ بِقَدَمَيْهِ ،
و(هَاجِرُ) تَنْظُرُ إِلَيْهِ حَزِينَةً وَمُشْفِقَةً عَلَيْهِ ..

لَكِنَّ عَنَايَةَ اللَّهِ وَرِعَايَتَهُ أَدْرَكَتْ (هَاجِرَ) وَابْنَهَا فِي
الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ ..

فَقَدْ تَفَجَّرَ الْمَاءُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ (إِسْمَاعِيلِ) ،

فَحَمِدَتْ (هَاجِرُ) اللَّهَ ، وَأَخَذَتْ الْمَاءَ فِي يَدَيْهَا
فَسَقَتْ (إِسْمَاعِيلَ) وَشَرِبَتْ ، حَتَّى ارْتَوَيَْا مَاءً عَذْبًا
حُلُوَ الْمَذَاقِ . . وَقَدْ سُمِّيَتْ هَذِهِ الْبُئْرُ الَّتِي تَفَجَّرَتْ
تَحْتَ قَدَمَيَّ (إِسْمَاعِيلَ) (بُئْرَ زَمْزَمَ) وَهِيَ لَمْ تَزَلْ بَاقِيَةً
حَتَّى الْيَوْمَ فِي مَكَانِهَا الَّذِي تَفَجَّرَتْ مِنْهُ فِي مَكَّةَ
الْمُكْرَمَةِ ، وَمَا زَالَ حُجَّاجُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ يَشْرَبُونَ مِنْهَا ،
وَيَسْعَوْنَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، كَجُزْءٍ مِنْ شَعَائِرِ الْحَجِّ . .



وكانَ تَفَجُّرُ الْمَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْ (إِسْمَاعِيلَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي

هَذَا الْمَكَانِ مِنَ الصَّحْرَاءِ سَبَبًا لِعِمَارَةِ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ ،
وَاسْتِقْرَارِ الْقَبَائِلِ بِهَا ..

فَقَدْ كَانَتِ الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ دَائِمَةً التَّرْحَالُ فِي
الْجَزِيرَةِ ، بَحْثًا عَنِ الْمَاءِ لِحَيَاتِهَا ، وَعَنِ الْعُشْبِ
لِتَرْعَى فِيهِ إِبِلُهُمْ وَمَوَاشِيَهُمْ ..

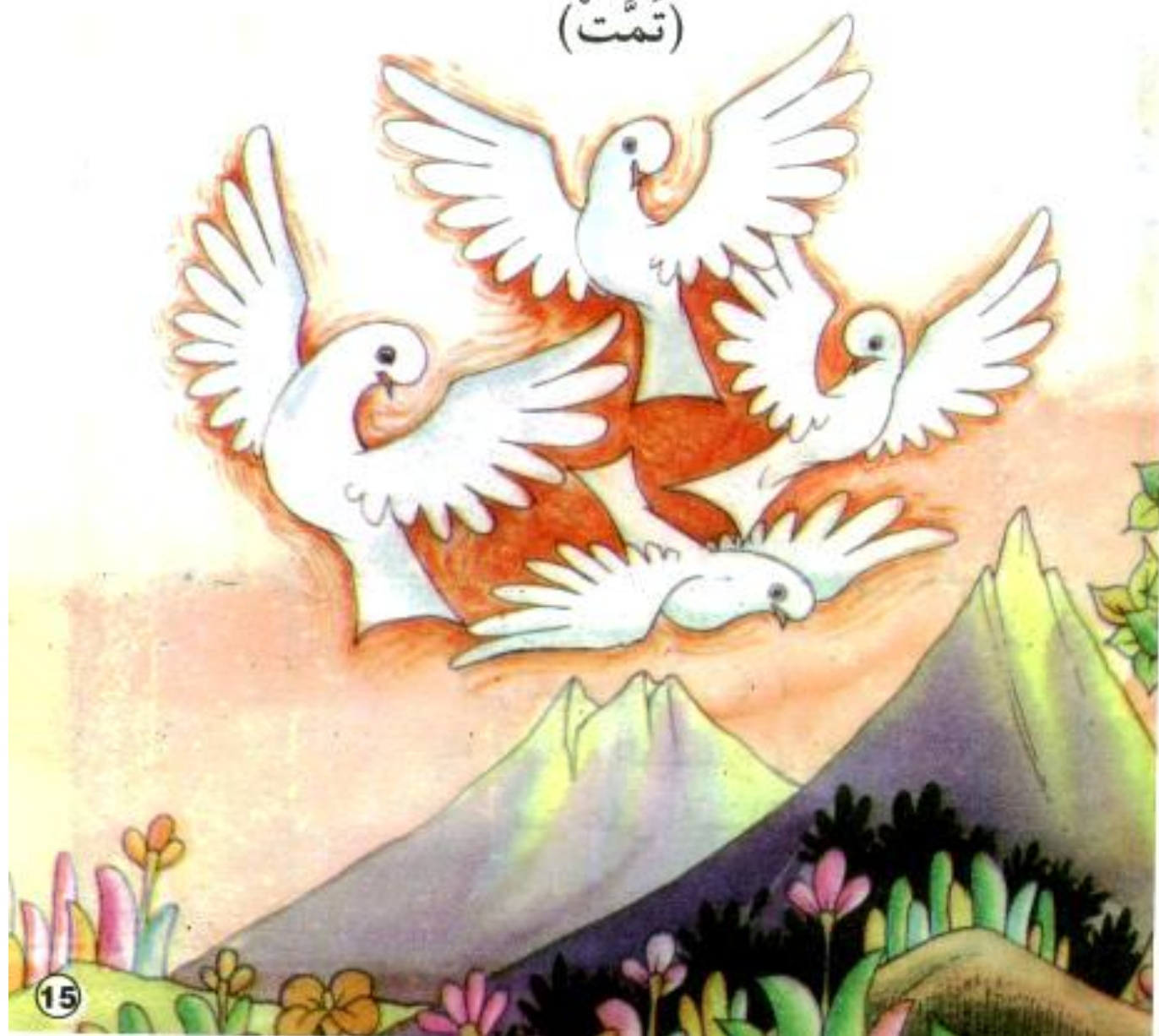
وكَانَتِ الْقَوَافِلُ التَّجَارِيَّةُ بَيْنَ الْيَمَنِ وَالشَّامِ تَمُرُّ بِهَذَا
الْمَكَانِ ، فَلَا تَتَوَقَّفُ فِيهِ لِعَدَمِ وُجُودِ الْمَاءِ أَوْ الزَّرْعِ
وَالشَّجَرِ ..

وَبَدَأَتِ الطُّيُورُ تَحُطُّ عَلَى بُرْزُومِمْ ، وَتَشْرَبُ الْمَاءَ
الْمُتَدَفِّقَ مِنْهُ .. فَرَأَتْهَا بَعْضُ الْقَبَائِلِ ، الَّتِي كَانَتْ
تُقِيمُ قَرِيبًا ، وَعَرَفَتْ أَنَّ الطُّيُورَ لَا تَحُطُّ عَلَى مَكَانٍ إِلَّا
إِذَا كَانَ فِيهِ مَاءٌ ..

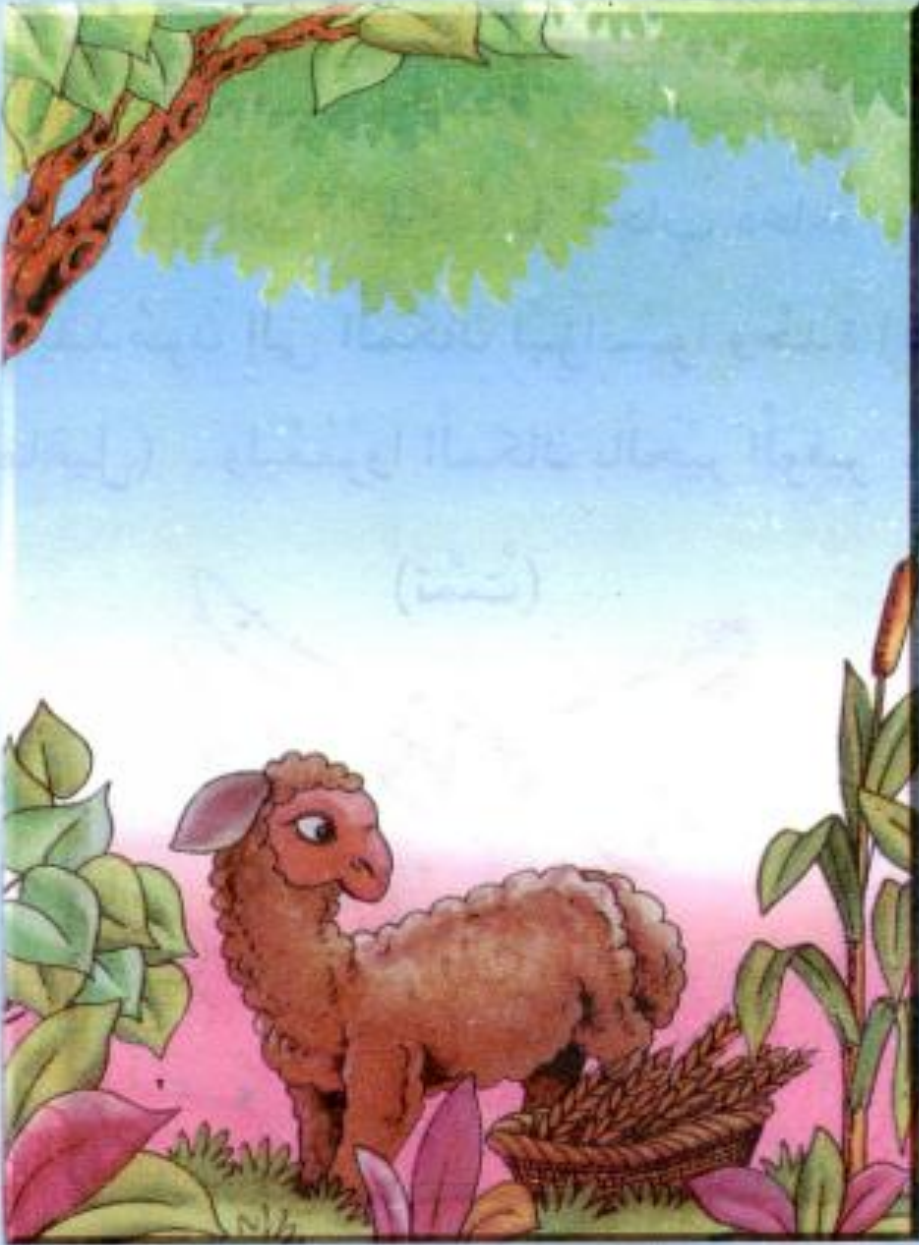
وَلِذَلِكَ قَدِمَتْ بَعْضُ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَاسْتَأْذَنْتْ (هَاجِرًا)
فِي الْإِقَامَةِ مَعَهَا فِي الْمَكَانِ ، عَلَى أَنْ يَبْقَى

الْمَاءُ مَاءَهَا ، فَوَافَقْتُ (هَاجِرُ) .. وَبِذَلِكَ عَمَرَ الْمَكَانُ
بِالنَّاسِ ، وَدَبَّتْ فِيهِ الْحَيَاةُ .. وَلَمْ يُضَيِّعِ اللَّهُ ابْنَ
وَزَوْجَةَ نَبِيِّهِ (إِبْرَاهِيمَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بَلْ أَجَابَ دُعَاءَهُ ، فَجَعَلَ
النَّاسَ يُقَدِّمُونَ إِلَى الْمَكَانِ لِيُؤَانِسُوا وَحْدَةَ (هَاجِرَ)
و(إِسْمَاعِيلَ) ، وَلِيَعْمُرُوا الْمَكَانَ بِالْخَيْرِ الْوَفِيرِ ..

(تَمَّتْ)



قصص الأنبياء



الكتاب التالي
إبراهيم عليه السلام (٤)
(البلاء العظيم)
أحرص على اقتنائه

رقم الإيداع : ٢١٦٢
الترقيم الدولي : ٢ - ٢٨٩ - ٤٦٦ - ٩٧٧